Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من هنا تظهر الأهمية التي يكتسيها الأنا التلفظي باعتباره ضمير الحضور في النص، ولكننا قد نراه ضمير المخاطبة أو الغياب في الماضي كذلك. وفي اعتقادي أن العملية الكتابية تتضمن قدرا لا يضاهى من الحرية في الإرتحال، ذهابا وإيابا، بين حاضر الكتابة الذي يتملكه ضمير الأنا بطريقة تمكنه من استبطان شعوره الذاتي العاطفي بأناه، وبين ماضي الوقائع المروية الذي تحتله شخصيته الساردة.

إن قارئ النصوص السيرذاتية يتفطن، أثناء عملية القراءة، إلى أنه يستقبل ملفوظا ملتبسا تتداخل فيه (الأناوات) إذا جاز التعبير، المؤلف والسارد والشخصية، ولكنه يدرك تدريجيا، من خلال العناصر النصية أو الواقعية المبثوثة هنا وهناك، فضلا عن المقصدية المعلنة بضرورة الكتابة عن الذات، أنه أمام بناء تلفظي رمزي يجاري ، في أبعاده المختلفة، بناء آخر، يمكن تسميته بالواقعي، يدعوه إلى التماهي معه والتسليم بحقيقته. ويزداد الأمر وثوقا عندما يكون المؤلف الذي نقرأ له ذا رتبة ذائعة، سواء من خلال المؤلفات السابقة التي قرأناها له، أو من خلال الاستجوابات التي أطلعنا عليها، أو بغير ذلك من وسائل الإثبات الواقعي الدال على المعرفة.

لقد ألمحنا في البداية إلى أن المؤلفة ليلى أبو زيد كتبت نص (رجوع إلى الطفولة)، كما تقول، «بطلب من الأستاذة إليزابيت..» (ص 5). والظاهر أن هذا الإعتراف لبنة من لبنات اليقين المبحوث عنه بالنسبة إلينا، نحن قراء السير الذاتية. ولكن يقيننا قد يكون مجرد سراب خادع أيضا، لأن السيرة الذاتية بدورها ترمي في نظر مؤلفها إلى إقامة يقين آخر: أن له هوية كلية تشكلت في الزمن والمكان وفق محددات وجوده الاجتماعي والنفسي والتربوي والثقافي، وأن استعادة هذه الهوية هو الذي يعطى المعنى لحياته.إن السيرة الذاتية نص بعدي وليس قبليا، وعلى المؤلف أن يكون على قيد الحياة لكي يكتبها[1].

1 - Survivre a son passé, Sophie de Mijolla-Mellor, in : l'autobiographie, Société d'édition les belles lettres 1988, Paris p. 104 et s.